بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ: (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتُمْ تَلْغَثُونَهَا أَوْ تَرْغَثُونَهَا أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا).

نعم قول الإمام ـ رحمه الله ـ: (بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ)

تقديم هذا الباب في أول كتاب الاعتصام له أثره، فإن أمر التشريع بشقيه ما يتعلق بالأخبار الغيبية التي لا يعرفها، ولا يتكلم بها إلا الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والشق الآخر وهو التشريع الحكمي في الحلال، والحرام، والحدود ونحوها. هذه لكثرتها، واتساعها، وتنوعها، تحتاج إلى خطاب طويل، وكلام كثير، وكتب متنوعة متعددة.

ولكن الله ـ جل وعلا ـ وهو على كل شيء قدير، أجمل وجمع كل ما يحتاج الخلق إليه من معارف وعلوم، سواء فيما يتعلق بالأمور الإعتقادية الغيبية، أو الأحكام الشرعية. جمعها في كلام جامع مختصر يسهل قراءته، وحفظه، وتعلمه أيضاً، وهذا وجه إعجاز لا يقع إلا في كلام الله ـ جل وعلا ـ المعجز البليغ، أو كلام رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنك تعرف أن الحوادث التي يقع فيها الناس، ويحتاجون فيها إلى أحكام لا تكاد تنحصر، ولا تكاد تنتهي فلابد أن... ولكل نازلة تنزل، ولكل واقعة تقع، لابد فيها من حكم لله ـ جل وعلا ـ.

هذا أصل متفق عليه عند أهل السنة، والحق واحد لا يتعدد، ويستطيع كل باحث وناظر عارف بأصول الاستدلال وقواعده، أن يعرف الحكم الشرعي من مصدره ومنبعه، فدل ذلك على أن بالفعل ما في القرآن الكريم، وما في السنة النبوية هي جوامع، فهو كلام مختصر بالنسبة لغيره، لكنه جامع مانع لا يحتاج معه إلى غيره.

وهنا مسألة وهي: ما المراد بقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**) الذي صدّر به البخاري هذا الباب؟ جوامع الكلم ما المراد به؟

الجمهور من الأئمة والعلماء، على رأسهم الشافعي ـ رحمه الله ـ فسروا جوامع الكلم بالقرآن العظيم، وأن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينوه في قوله: (**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**) ينوه بالقرآن العظيم، وأن القرآن اجتمع فيه من المعارف والعلوم ما تفرق حتى في الكتب المنزلة التي قبله، ولا يحتاج معه إلى غيره.

فهو كلام عظيم بليغ معجز، جامع لكل ما يحتاج إليه من أنواع المعارف والعلوم، والتشريعات والأحكام، سواء تفصيلية أو كلية عامة، تأتي السنة تبينها وتحققها كما سيأتي في مفردات كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى.

وهذا القول حق وصحيح، فإن القرآن العظيم جامع، وآياته العظيمة وكلماته الجليلة كلمات جامعة عظيمة، تحوي في طيها من المعارف والعلوم، وأودع الله ـ جل وعلا ـ وهو المتكلم بالقرآن، أودع فيه كل ما يحتاج إليه الخلق إلى يوم القيامة، وذلك أن الله ـ عز وجل ـ سبق علمه بكل ما يقع، سبق علمه بكل ما سيقع إلى قيام الساعة.

وأنزل القرآن وأراد ـ جل وعلا ـ أن يكون القرآن والشريعة الإسلامية التي هي مصدرها القرآن، والنبي محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي بعث بالقرآن، أن يكون هذا هو الأمر الخاتم، فلن يبعث بعده نبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولن ينزل بعد القرآن كتاب.

فمادام أن الله أراد أن يكون هذا الكتاب هو الخاتم، فلابد أن يمد البشر بكل ما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة، علم بذلك من علمه، ووصل إليه من وصله، وجهله من جهله، هذه ضرورية؛ لأن من مقتضيات ختم التشريع، ومن مقتضيات ختم النبوة، أن لا يحتاج الناس في أمر دينهم لمعرفة حكم الله إلى شيء سوى هذا المصدر؛ لأنهم لو احتاجوا.

لو فرضنا أنهم احتاجوا لما ختمت النبوة أصلاً، وهذا ما كان عليه الحال قبل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

كان يبعث أنبياء إلى الخلق في الأرض، ويأتون بشرائع وأحكام، وتنزل عليهم كتب. قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأبي ذر الغفاري لما سأله أبو ذر الغفاري، والحديث عند أحمد في المسند، سأله أبو ذر قال: ((**كم عدد الأنبياء قال: مائة وأربعة وعشرون ألفاً**)) مائة وأربعة وعشرين ألفاً ((**كم الرسل منهم؟ قال ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً قال كم أنزل الله من الكتب؟ قال مائة وأربعة**))[1].

كتب كثيرة نزلت، فاقت المائة أنزلها الله على أنبياء في الأرض، وما علمناه منها وعرفناه هو أقل بكثير مما لم نعلمه ولم نعرفه.

فكان كلما اندرست شريعة نبي، وتلاشت أعلام نبوته، وتطرق الخلل إلى الكتاب المنزل نظراً لتسلط الخلق عليه بالتحريف والتبديل. كان لزام ذلك أن ينزل نبي آخر، أو يبعث نبي آخر وينزل كتاب آخر، يجدد ما اندرس من ملة النبي السابق، ويرد ما أدخله الخلق من خلل في كلام الله ـ جل وعلا ـ كما صنع اليهود والنصارى، بعث إليهم أنبياء كثر.

فلما زال هذا المقتضى في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه النبي الخاتم، وفي القرآن لأنه الكتاب المنزل الخاتم، كان لا بد أن لا يحتاج لمعرفة مراد الله إلى مصدر غيره هذه مسلمة.

ولو جوز الناس ـ مسلمين أو غير مسلمين ـ جوز الناس أن القرآن العظيم مع السنة النبوية وهي الشارحة له، لا تفي بحاجة الخلق إلى تدبير أمرهم، وبيان ما يصلح شأنهم في معاملاتهم، وأحوالهم، وعلاقاتهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وسلمهم وحربهم، ونحو ذلك من أمور.

لو زعم زاعم بلسان المقال أو بلسان الحال أن القرآن لا يفي بذلك، فإنه بالضرورة غير قابل؛ لأن النبوة ختمت بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغير قابل لأن القرآن يعني هو الكتاب الخاتم، وغير قابل لأن الشريعة هي الشريعة الخاتمة، إذ زعم أن المقتضي لبعثة الأنبياء

---

(١) ابن حنبل في مسنده ج 5/ ص 266 حديث رقم: 22342.

مازال قائماً، وهي عدم وفاء المصدر السابق الموجود لحاجة للأحكام المتنوعة المختلفة ، وهذا طبعاً خطأ عظيم يجر ضلالاً كبيراً.

ثم يا ليت كما كان الحال سابقاً، الذي سيقوم بالتعديل أو التتميم أنبياء ورسل كما كان الحال. يأتي ساقطون من الخلق، جهلاء، أصحاب أهواء، أصحاب شهوات ، هذا يعدل وهذا يلغي، وهذا يمنع، وهذا يرفع، وهذا يقطع، وهذا يجزم، وهذا يشكك، وهذا يبدل، وتصبح القضية ليست فقط اتهام القرآن بعدم الوفاء بتمام الحاجة البشرية للأحكام التفصيلية، وليس ما يترتب عليه من رفض، ولو لم يدرك ربما من يفعل ذلك هذا؛ لأنها قضية متلازمة، والتلازم قد يفوت كثير من العقول في بعض القضايا؛ بل في أكثر القضايا، فيقع في أمر يلزم منه أمر آخر وهو لا يتفطن للازمه، وقد يكون لازمه أخطر مما وقع فيه، وهما بالتلازم ضرورة وقعا في الأمرين معاً.

فيبدأ الاقتراح، ويبدأ التعديل، ويبدأ التجاوز على حرمات الله وحدوده، وهذا من أعظم القدح في القرآن.

ولذلك الشافعي ــ رحمه الله ــ وكذلك الشاطبي، وكذلك ابن تيمية في "الاقتضاء"، وابن القيم في "طريق الهجرتين"، وغيرهم من الأئمة الكبار، قالوا في نقاش في هذه القضية، أن هناك آية في القرآن العظيم دلت على أنه لا تحدث حادثة، ولا تقع واقعة، ولا تنزل نازلة، للناس فيها حاجة لمعرفة مراد الله فيها إلا وفي القرآن العظيم جوابها. بقي من يعرفه، وكيف الوصول إليه، وكيف طلبه بالطرق والاستدلالات المعروفة.

وهذه الآية هي قوله تعالى في الفرقان: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾[٢] ودليلهم من هذه الآية أن صيغة الآية صيغة استقبال، يخبر الله نبيه أنه لا يأتونك بمثل ــ أي أعداؤك ــ من الآن من نزول هذه الآية وصاعداً ﴿**إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ**﴾ الذي يزيل الباطل الذي صنعوه، والكفر الذي كفروه، والشبهة التي اشتبهت عليهم ﴿**وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾ أي أحسن بياناً وتوضيحاً من ما ربما يقترح الناس من اقتراحات، ويدلون من أفكار يظنون أنها توضح المراد وتحقق المقصود.

---

(٢) سورة الفرقان [الآية 33].

فمهما أحدث الناس، ومهما وقعوا في أمور، ومهما استجد لهم من مستجدات، إلا وفي كتاب الله ــ جل وعلا ــ وما يتبعه وهو السنة النبوية؛ لأنها شارحة له مع اللسان العربي، وهو وسيلة الفهم والحفظ، مع قواعد الاستنباط المعروفة، إلا وفي كتاب الله جوابها وبيانها؛ لأن الله أنزل هذا الكتاب وأراد أن يكون حجة على العالمين أجمعين إلى قيام الساعة. فلابد أن يضمن، لا بد أن يضمن كل جواب عن كل شبهة.

والله ــ جل وعلا ــ يفتح على من شاء من عباده والعلماء القائمون بأمره، من فتوحات في كتابه، فيها جواب كل شبهة وكل مسألة. حتى قال كبار العلماء كالشافعي، وابن تيمية، قالوا نحن ضامنون.

الشافعي يقول أنا ضامن، ابن تيمية يقول أنا ضامن أنه لا يحتج مبطل بنص من القرآن إلا وفي نفس النص ما يبطل حجته، دون أن يحتاج إلى نص آخر. هذه براعة عالية جداً، دليل على أنهم بالفعل يأوون إلى ركن شديد، ويرتكزون إلى قاعدة كبيرة، وكفى بكلام الله حجة وهو القائل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً﴾[٣] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾[٤] ووصف القرآن أنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[٥] لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٦].

وكثيراً ما تفتح السور القرآنية بالثناء على القرآن، وأنه لا ريب فيه وأنه ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[٧] ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[٨] فاتحة البقرة. ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[٩] فاتحة هود ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[١٠] فاتحة يونس ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[١١] ولا لا؟

---

(٣) سورة النساء [الآية 87].
(٤) سورة النساء [الآية 122].
(٥) سورة فصلت [الآية 42].
(٦) سورة فصلت [الآية 42].
(٧) سورة هود [الآية 1].
(٨) سورة البقرة [الآية 2].
(٩) سورة هود [الآية 1].
(١٠) سورة يونس [الآية 1].
(١١) سورة يوسف [الآية 1].

فهو مبين، أي بين واضح مبين لما ربما يشتبه، حكيم لا يتطرق إليه خلل مطلقاً، لا في ألفاظه، ولا في معانيه، وهو معجز في كلا جانبيه:

- جانب لفظه: وقد أعجز الفصحاء.
- وجانب تشريعه: إذ هو جوامع الكلم.

ففي آياته المباركات، مع أن اللسان يستطيع أن يقرأ القرآن ويحفظه؛ لأنه محدود في سور معينة، وآيات معينة، لكن تتفجر منها من المعاني والمعارف والتشريعات الشيء العظيم الكثير، ولا زال العلماء يبنون أحكامهم كلها على نص القرآن العظيم. هذا القول الأول، وهو قول الجمهور في معنى جوامع الكلم أنه القرآن.

القول الثاني وهو أشار إليه الزهري في بعض كلامه، واختاره جمع أن المقصود بجوامع الكلم كلامه هو _ عليه الصلاة والسلام _ بمعنى أن الله أعطاه خاصية _ صلى الله عليه وسلم _ أنه يتكلم بالكلام الموجز القليل في عباراته وجمله، لكنه العظيم الواسع جداً في محتوياته ومعانيه، وهذا هو معنى جوامع الكلم، وهذه هي عين البلاغة.

عين البلاغة أن توصل المقصود بأوجز عبارة؛ ولذلك إذا استعجم شخصان أحدهما لا يفهم الآخر، يحتاجون يتكلمون نصف ساعة حتى يقول له روح جيب لي ماء أشرب نصف ساعة؛ لأنه ما فيه وسيلة تواصل يعني، أو خطاب واضحة. وكلما ضعفت اللغة، كلما أدت إلى المعاني بتراتيب كثيرة، وعبارات كثيرة. وكلما قويت اللغة، كلما أدت إلى المعاني بجمل يسيرة وعبارات يسيرة.

فالنبي _ عليه الصلاة والسلام _ أعطي من الفصاحة والبلاغة ما يتكلم بالكلام الموجز اليسير البليغ، المؤدي إلى المعاني العظيمة، وذلك يتضح من وجوه:

الوجه الأول: اتفق العلماء جميعاً على أن النبي _ عليه الصلاة والسلام _ هو أفصح العرب قاطبة، لم يأتِ قبله ولا بعده أفصح لساناً منه، وهذا طبعاً ليس جهداً بشرياً؛ لأن النبي _ صلى الله عليه وسلم _ بعث في أمة عربية عرباء، فصحاء اللسان العرب، يتلاعبون بالألفاظ تلاعباً ((**إن من البيان لسحراً**))[١٢] كما تعرفون لما جاءه وفد فزارة، فخطب خطيبهم، وقصد شاعرهم، قالوا كلاماً يأسر القلوب، ويأخذ...فقال: ((**إن من**

(١٢) البخاري في صحيحه ج 5/ ص 1976 حديث رقم: 4851.

البيان لسحراً)) هو يمدح كلامهم أنه كلام بليغ، يشرف الأذان، ويطرب القلوب ويأخذ...ولذلك الإنسان ببلاغته، قد يقلب الحق باطلاً. أليس كذلك؟

وبفهاهته وعيّه قد يقلب الباطل حقاً نعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ ولذلك يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث: **((إنكم تختصمون إلي))** أي في الخصومات قاضي يقضي **((ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض))** يعني أبلغ وأفصح يعرف يتكلم **((فأقضي له على نحو مما أسمع))**[١٣] وقد يكون هو الظالم المعتدي، لكنه فصيح يتلاعب بالألفاظ ويقلب الأمور ﴿**وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ**﴾[١٤] كما هي صفات المنافقين دائماً، أهل أرباب لسان، فيظهر أن الحق له، والمسكين الثاني مو عارف يركب جملتين على بعضها، فيبدو أنه هو المعتدي وهو الظالم. فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفصح العرب قاطبة هذه قضية إجماعية.

الوجه الثاني: ليس هذا فقط، نحن نعرف أن لسان العرب لسان واسع، أوسع لغة في الأرض كلها عبر التاريخ من جهة المفردات، أوسع لغة اللغة العربية، لسان العرب واسع جداً، وفيه لهجات. كل قبيلة من القبائل العربية الكبرى، تستخدم ألفاظ تخصها، وتركب الجمل بطريقة تخصها. لذلك أنت تقرأ في النحو تجد ذلك، يقول لك هذه مثلاً كلمة "متى" الهذلية؛ لأن أهل هذيل يستخدمون "متى" حرف جر، وهذه "كلا" التميمية تميم تستخدم تلك الكلمة لمعنى معين، لا تستخدمه بقية القبائل العرب.

فيحتاج استيعاب كل لسان العرب باختلاف لهجات العرب، طبعاً أيام العرب أيام خل الآن، الآن الشغلة كلها تعبانة ما عاد نفهم ولا شيء، واللسان العربي صار ما أدري كيف وضعنا فيه؟ يحتاج يعني إلى إعجاز، ولذلك الوجه الثاني الذي نقوله، نص عليه الشافعي وذكره تقريباً كل من تكلم في الشمائل النبوية، أو في الخصائص النبوية، قالوا لم يستوعب أحد من العرب جميع مفردات لسان العرب إلا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والدليل على هذا واضح.

---

(١٣) ابن حنبل في مسنده ج 6/ ص 320 حديث رقم: 26760.

(١٤) سورة التوبة [الآية 48].

أنت تقرأ ربما في بعض الأحاديث أن النبي _ عليه الصلاة والسلام _ يتكلم ببعض الكلام _ عليه الصلاة والسلام _ أصحابه وهم عرب فصحاء، منهم القرشي، ومنهم الثقفي، ومنهم التميمي، ومنهم الخزرجي، والأوسي ومنهم...ولا لا؟ هم عرب ما يفهمون ما يقول، ما حصل هذا في كثير من الأحاديث؟

مثلاً لما يقول: ((**أهل النار الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**)[15] هذه جديدة المتفيهقون أبو بكر جالس وعمر جالس عثمان ما عرفوا معناها. ((**قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون**)) الذي يتكلم كلامه كثير ولا منه فائدة.

((**والمتشدقون**)) الذي يظهر الفصاحة وهو ليس فصيح، جملة مفيدة ما فيه ويريد يتكلم ايش تسوي فيه؟

((**فما المتفيهقون؟**)) من الذي يسأل؟ ليس أعجمياً أو...عرب عرباء اللسان لسانهم، والكلام كلامهم؛ لأن كلمة ((**المتفيهقون**)) لهجة لقبيلة عربية، ربما ما استحضر الحاضرون كلهم استخدامهم لهذه الكلمة بمعنى معين، فاستعجمت عليهم ((**ما المتفيهقون؟ قال المتكبرون**)).

ويحصل هذا كثيراً في النصوص، يسألون عن مفردة يقولها، يقولون قد علمنا كذا فما كذا؟ علمنا نريد نعرف وهم عرب؛ لأنه ربما يتكلم بحكم الاستيعاب الذي أعطيه _ صلى الله عليه وسلم _ هذا وهو لا يقرأ ولا يكتب، ما هي؟ طبعاً هي إعجاز من الله منحة؛ لأنه نبي لا يقرأ ولا يكتب.

ما تقول لي راح درس القواميس، ودار على قبائل العرب، ودون الكلمات، ما فيه الكلام هذا كله ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾[16] ومع ذلك استوعب لسان العرب كله، وهذه خاصية به _ صلى الله عليه وسلم _ ما حصلت لغيره من العرب مطلقاً.

فلما كان أفصح العرب لساناً، وأجمعهم لمفردات كلامها كان ضرورة أعطي جوامع الكلم. فيستخدم العبارات، ويركبها تركيباً موجزاً _ عليه الصلاة والسلام _ ويدع للناس

---

(15) الترمذي في سننه ج 4/ ص 371 حديث رقم: 2018.

(16) سورة العنكبوت [الآية 48].

يستخرجون منها، ويستنبطون المعاني المتنوعة المختلفة الكثيرة. وما كتب العلم هذه من شروح الحديث وغيرها، إلا تطويل للعبارات، واستخراج للأحكام، واستنباط لها من ربما حديث لا يتجاوز كلمتين: ((**قل آمنت بالله ثم استقم**))[١٧] ((**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**))[١٨] كلام عظيم بليغ كأنه الأمثال.

أيضاً ثالثاً: وجه ثالث وهي قلّت الإشارة إليها عند كثير من العلماء، ونبّه لها فيما أعرف أنا شخص واحد من العلماء، وهو أبو بكر بن الأنباري له كتاب اسمه "الأضداد" الليلة اشتروه إذا لقيتموه "كتاب الأضداد" للأنباري أبي بكر، يعني فيه عبارات أطلقها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبارات أطلقها ــ عليه الصلاة والسلام ــ أصبحت كأمثال عند الناس، ولم يُسبق إليها وه و فن من العلوم.

حاول أبو بكر بن الأنباري أن يجمع له مختصراً، يعني كلمات قالها النبي ــصلى الله عليه وسلم ــ ما قالها أحد قبله بهذا التركيب، لتؤدي إلى ذلك المعنى، معنى معين ركب له جملة صارت مثلاً. هذا التركيب لهذه الجملة لتؤدي ذلك المعنى، لم يسبق إليه.

وهي كثيرة مثل أبو بكر الأنباري لأشياء كثيرة مثل كلمة (أما بعد) في الخطاب، الصواب ما قيلت قبل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورد ابن الأنباري على من قال أن أول من قالها. إيش اسمه؟ سيف بن ذي يزن، سيف بن ذي يزن لسانه حميري، ليس لسان بني إسماعيل في الجزيرة. وبعضهم قال أنه قص بن ساعدة، هذا كله لا دليل عليه.

أول من قال (أما بعد) في الخطاب لتدل على فصل بين المتقدم كالمقدمة من الحمدلة ونحوها؛ لأن الحمدلة أصلاً أول من كان يقول هو، ولم يكن قبله من يقول الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله. لا ابن إيادي، ولا سيف بن يزن، ولا أبره ة الحبشي، ما فيه هذا الكلام مثل ((**الآن حمي الوطيس**))[١٩] في المعركة حتى قال الصحابي أحد الصحابة أظنه علي أو غيره، يقول يعني انشغل عن المعركة بالتفكير في هذه العبارة، في المعركة في حنين لما تلاحم قال: ((**الآن حمي الوطيس**)) الصحابي بدأ...((**الآن حمي**

---

(17) الطبراني في معجمه الكبير ج 7/ ص 69 حديث رقم: 6398.

(18) البخاري في الأدب المفرد ج 1/ ص 209 حديث رقم: 597.

(19) ابن حنبل في فضائل الصحابة ج 2/ ص 928 حديث رقم: 1776.

الوطيس)) لفظة جميلة هذه جداً، ليس.. معركة وهو يفكر في الكلام هذه الآن حمي الوطيس **((لا ترتطح فيها عنزان))**[٢٠] في بيان أن المسألة هذه لا يختلف فيها عاقلان. كثير ذكر ابن أبي بكر الأنباري جمل ليست استيعابية.

فهذه الحيثيات الثلاث أو الوجوه الثلاث، لاشك أنها تؤيد ما ذهب إليه الزهري وغيره أن المراد بجوامع الكلم هو نفسه كلامه _ عليه الصلاة والسلام _ بهذه القدرة الهائلة التي يعطيها:

- أفصح العرب لسانا لا يلحن قط.
- أوعب العرب لمفردات كلامه باختلاف لهجات القبائل العربية وهذا لا يحصل قط.
- عنده القدرة بتقدير الله له أن يركب من الجمل كلاماً يؤدي إلى معنى لم يسبق إليه، لم يسبق إليه.

لكن الصواب في هذه المسألة جوامع الكلام أنه لا يمنع أن يكون هذا وهذا. القرآن جوامع كلم وهو الآية العظيمة الخالدة التالدة الباقية، المعجزة في ألفاظه ومعانيه وأحكامه وتشريعاته.

أيضاً كلامه هو _ عليه الصلاة والسلام _ أعطي من البراعة بتقدير الله للنبي _ عليه الصلاة والسلام _ ما يستحق أن يسمى كلامه بالفعل جوامع الكلم، مما يدل على...

يدخل في المراد بجوامع الكلم نفس كلامه _ عليه الصلاة والسلام _ قوله في لفظ أحمد لهذا الحديث عند أحمد في المسند لم قال **((نصرت بالرعب مسيرة شهر))**[٢١] قال **((واختصر لي الكلام اختصارا))**[٢٢] اختصر لي كما ألان الله الحديد لداوود على وجه الإعجاز، يلعب بالحديد كأنه بلاستيك أو ورق، داوود عليه الصلاة والسلام ﴿**أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾[٢٣].

---

(20) مسند الشهاب: ج2/ص47 ح857.

(21) ابن حنبل في مسنده ج 5/ ص 248 حديث رقم: 22190.

(22) ابن حنبل في مسنده ج 5/ ص 248 حديث رقم: 22190.

(23) سورة سبأ [الآية 10].

ألان الله الكلام للنبي _ عليه الصلاة والسلام _ اختصره له إلهاماً له، تخصيصاً له _ عليه الصلاة والسلام _ فيتكلم بالكلام العظيم الموجز في عباراته، العظيم البليغ الواسع جداً في معانيه _ عليه الصلاة والسلام _ هذا معنى هذا الكلام.

فحق لكتاب هذا وصفه، ولنبي هذا وصفه، أن يكون تشريعه وأخباره لا تعارض ولا تصادم. نحتاج على أقل تقدير من أراد أن يصادم النبي، أن يأتي بقدرات لغوية على الأقل بهذا المستوى. مو يجيك واحد ما يعرف يقرأ الكلام زي الناس، والفاعل مرفوع والمنصوب، ويعترض على أحكام الله، وأحكام رسوله، ما يسوى الشيء الجاهل هذا ما يقبل.

لو الأمة كلها اجتمعت على معارضته، ما يقبل. على الأقل تكافؤ القدرات في البراعة والبلاغة، وهذا ما أراده البخاري؛ لأن تشريع هذا حجمه، وتشريع هذا شأنه. طبعاً التشريع، والبلاغة، وسيلتها اللغة، اللسان. الدعوة، والبيان، والبلاغ، والأمر، والخبر، والتشريع وسيلته اللسان.

فلما كان التشريع بهذه الضخامة، وسيبقى إلى يوم القيامة، ويولد للناس ما يحتاجون إليه في كل حوادثهم وأحكامهم إلى يوم القيامة، رغم اختلاف الأمور، وتجدد الأحوال، وتنوع ظروف وطبائع الحياة، لابد يكون لسانه الذي يعبر عنه أيضاً أوسع الألسنة وأبرعها وأعمقها وهكذا كان.

ولابد يكون المؤدي له وهو النبي _ صلى الله عليه وسلم _ من القدرة على استيعاب هذا اللسان بما شرحته لكم، وبالتالي لا يصادم حكم الله، لا لغة، ولا طبعاً فحوى ومعنى ومحتوى، ولكن إذا فسدت الفطر، وضل الناس سواء السبيل، تطلبوا في عي الكلام، وسخيف الفكر ما ربما يظنونه نجاة، أو فلاحاً، أو خيرًا، ويعرضون عن كلام الله وكلام رسوله.